

الثقافة الجنسية

للدكتور إبراهيم ناجي

العالم الآن يجتاز مرحلة من أدق مراحل التاريخ . مرحلة يكثر عندها التساؤل :
ما وراء هذا الصراع القائم ؟ وهل تحسن بعدها الدنيا أو تسوء ؟
لقد أخرجت المطابع في هاته الأيام آلاف الكتب التي يتنبأ كاتبوها عن المستقبل .
وهم إذ يتكلمون عن المستقبل يستعرضون الماضي ولا يغفلون الحاضر .
فلنستعرض مثلهم ماضي الحضارة ، حتى نصل إلى الحاضر لعلنا نجد تعيلا لما يجري ،
ولعلنا بعد التعايل نستطيع أن نجد دواء أو شبه دواء .

نشأ الانسان والأرض ملك للجميع . أقول نشأ الانسان ، بعد أن صار إنسانا فريمصور
الزواحف والجليد والحجر والمستنقعات الخ ... آلاف السنين ، حتى استكمل الصورة التي جعلت
منه إنسانا يحاسب ويقام له وزن ...

أقول ، كانت الأرض ملكا للجميع . خيراتها متاع مشترك ، وصيدها في البر والبحر
والهواء حلال لمن يريد ويستطيع ... حتى جاء يوم لا تعرف تحديده في بطون التاريخ ، خطر
فيه لإنسان ما أن يدنح ! يدنح جلد حيوان أو ناب فيل ، أو ريش نعام ، فهنا أخذ يملك
بالادخار ما لا يملكه الآخرون ، أي صارت له ثروة ! فهذا هو المنشأ الأول للمال . وهنا
أخذ بجر المدينة يبرز على الوجود ، وذلك بوجود شيخ المال .

بعد ذلك أخذ الناس يميزون بين حال فريقيين ، هذا لديه شيء ، وذلك لا يملك ، أي
صار هناك غنى وفقير ، قوى وضعيف ، أو بعبارة أخرى انمحي عصر المساواة الأزل وذهب
إلى الأبد : وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن الغنى أو القوي أخذ يدل بشناه أو بقوته ، وأن
الفقير أو الضعيف أخذ يشكو من عبودية الفقر . أو من تحكم القوي . .

فالما شاع ذلك ، أخذتا يتلفتان في البحث عن حكم أو حكومة ... والحكم يفترض فيه
الزاهة النامة والبعد عن الهوى .

ولكنه على الأجيال شذ عن تلك الصفة ، واتخذ من الأمر ما ليس له ومن السلطة ما لا يجوز ،
فترك القوى والضعيف النزاع الذي بينهما ليتناقشا في أمر ذلك الحكم الذي اختاراه بنفسيهما
ليقضى بينهما ما هو ؟ ومن هو ؟ وهل له الحق في الفصل بينهما بدون أن يأخذ رأيهما ؟ ؟

وصار النزاع على الأجيال متخذا صورتين أو وجهين: الحكم يقول: هما حكمان، وهذا اعتراف بعجزهما عن تصريف أمورهما. واعتراف كذلك بقصور إنسانى عام، وضعف اجتماعى شامل ودليل على حاجة الناس فى كل الأزمنة لمن يقوم عليهم مقام الولى المرشد. والطرف الثانى يقول: ولكن نحن اخترناه، فليس له غير حفة المشرف الرقيب الذى يقضى برأينا. ولا يمكنه التصرف بغير الرجوع إلينا.

هذا هو النزاع الاجتماعى أو السياسى القائم إلى اليوم، أو ما يسمى النزاع بين الدكتاتورية، والديمقراطية ...

ولو استعرضنا الأزمات السياسية العالمية من أوائل التاريخ إلى عصرنا هذا ما وجدناه يخرج عن صراع بين هذا الفريق وذلك على صورة من الصور ...

لنتظر الآن إلى العقل الإنسانى وحل هو حقيقة قد تطور وترقى؟ أى ننظر إلى التطور البيولوجى بعد النظر إلى التطور الاجتماعى الذى لم ينته بعد إلى حل من الحلول.

يقول الدكتور شلر فى كتابه عن "مستقبل الإنسان" إن السبب فى قيام المدنية الإنسانية ليس قاصرا على تميز الإنسان بالعقل فلاقردة العليا عقل، ولأكثر الحيوانات ذكاء نادر، ولكنه لم يكف لقيام حضارة كالحضارة الإنسانية.

لماذا؟

يقول شلر إن العقل الإنسانى لا يزال يسير على الطريقة الحيوانية القديمة ألا وهى التجربة والاستفادة من الخطأ والصواب.

ولكن الحيوان يحتفظ بالنتيجة لنفسه، بينما الإنسان ينقل المعلومات لغيره ويكسبها بتكديسها. وفوق ذلك فإن العقل الإنسانى قادر على الخيال المركب الذى يستخلص النتائج وينبئ عليها، وقادر كذلك على الانتقاء والتخير.

ولكن قيام المدنية على الأكثر سببه انتقال المعلومات من جيل لجيل والذى سهل ذلك بالطبع اكتمال أساليب اللغة والكلام.

ننظر الآن إلى الخلق الإنسانى: من الثابت اليوم لعلماء النفس أن الخلق الإنسانى هو هو بعينه خلق القرون الأولى. وأن الآداب والأذواق ليست غير طلاء كاذب ووهم مقنع. ودليل ذلك أنه فى أحوال خاصة كالحرب والحب والنضب والمرض والسكر يتمزق ذلك القناع الكاذب ويعود الإنسان حيوانا أو وحشا أو طفلا.

قال أحد فلاسفة الانكليز لأحد فلاسفة الهنود، إن العقل الإنسانى تطور، انظر إلى الطيارات والنواصات. قال الهندى عجبا لكم تطيرون فى الهواء وتغوصون فى الماء ولكنكم من ناحية الخلق أطفال لا تعرفون كيف تمشون على الأرض.

واستطرد ذلك الفيلسوف قائلا :

إن الانسان يمر به عمر " شيطنة " بين التاسعة والبلوغ ... يستلذ فيه الفتك والتخريب .
ولما كانت الانسانية صورة مكبرة للانسان فهى الآر لم تتعد ذلك العمر من التاريخ ...

واستطرد قائلا بعد ذلك إن الانسان لا يزال فى العصر الحجرى أو على الأ أكثر فى عصر
المعادن ، لأن النزاع فى الحرب الماخية كان على مناجم الحديد فى اللورين .

ويقول الفيلسوف "جود" إن "القطيع" الانسانى لا تزال تتحكم فيه غريزة "القطيع"
ومعنى غريزة القطيع أن أفراد القطيع يتشابهون تشابها تاما ، ويشورون على كل من خرج
على نظام القطيع ، فاذا تميز أفراد منه بالذكاء أو الجاه أو السلطة ، تصدى آخرون لهم حقدًا
أو تمردًا ، ابردوا الغريزة السائدة الى وضعها الأصيل ، فالدكتاتورية لم تخرج عن أنها مجموعة
من هؤلاء الأفراد الحاقدين الغاضبين .

إذن : فقد وقف الخلق الانسانى عند المرحلة البدائية الأولى . بينما تطور العقل بعض
التطور العالمى وإن كان الاحصاء الأخير يدل على أن مستوى الذكاء الانسانى لا يزيد على
ذكاء صبي فى البلوغ .

وبناء على ذلك تساح الممجي المتنع المدعى المدنية ، المكتسى ثوبا خداعا براقا ،
واستعمل جميع أسلحة الفتك والدمار ... استعملها عن جهل خلق لا عن جهل عقل ... وعن
طبيعة لم تهذبها الأجيال أى تهذيب ...

والنتيجة ؟

انه سيكون عد الحرب الحاضرة جيل من العجزة والضعاف والمشوهين لأن الحرب
ستأخذ أحسن ما فى الخلق شبابا وفتوة ...

كبايع اللبن حين يذهب بخيره ويبقى أقل ما فيه من الخير فى قاع الإناء ...

وكيف السبيل الى إصلاح الخلق الانسانى ؟ ؟

وكيف السبيل الى علاج هاته الحالة المحزنة المتوقعة ؟ ؟ ؟

ان علم النفس هو علم السلوك الانسانى وهو علم لم يعط مكانته بعد . والساوك الانسانى
اليوم مقاتل مضطرب ، والتوازن ضائع ، فلا بد إذن من نشر ثقافة نفسية عامة .

ولا بد كذلك من ثقافة جنسية عامة . نعى بذلك أنه يجب أن نواجه مشكلة الجنس
بشجاعة ، ومشكلة الجنس هى فى آخر الأمر مشكلة الذرية السليمة الصحيحة وكيفية الوصول
الى ذلك . وليس فى ذلك حياء ولا عار .

إنها مشكلة العالم بأجمعه ، والأسر تكوّن الأمم ، والأمم هى العالم .

يجب محاربة الضعف والأمراض التناسلية . ويجب محاربة الشذوذ الجنسى . بتنشئة
جيل سليم عقلا وجسدا ، حتى يمكن للعالم أن يزدهر ويتبرع من جديد .